

# مولانا محمد طاہر القادری کی تاریخ مصر

## سقوط دولة الفراعنة



إعداد: هشام الجبالي

الناشر  
مكتبة



مرحباً باصدقائى فى كل بقعة من أرض مصر.  
أسمى «نيل» وُجِدَتْ منذ أن شق النهر مجراه فى أرضنا فجلب  
لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصحاب أجدادكم  
القدماء فى رحلات البناء الطويلة، وأرافق أبائكم فى مسيرة العمل  
من أجل رقى مصر وتقدمها، أشاركهم أحزانهم وأسى لهزائمهم،  
أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ما هو مصرى  
فأطوف بأرجاء البلاد شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، أبحث عن كل  
جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أبحث أبنائها على بذل  
المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقاً ومستقبلاً يملأه  
الرقى والتحضر، أعتدت أن أصحاب الشيخ كثير النشاط والحركة  
«تاريخ» كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له  
المساعدة ليسجل لها فى أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها،  
لهذا ستجلونى معكم عبر حكايات «تاريخ» وحوادث مصر  
وأخبارها.



### موسوعة تاريخ مصر

المحرر : هشام الجبالى

الجمع التصويرى : المكتب العربى للمعارف

الإخراج : المكتب العربى للمعارف

الرسوم الداخلية : علاء حجازى

رقم الإيداع : ١٩٩٤/٥٤٤١

هانى طه - إيهاب وصفى

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-018-5

المراجعة اللغوية : شوقى ميكل



# مؤلفات سلطنة مصر

## سقوط دولة الفراعنة



إعداد: هشام الحبال  
كتب عربي

AL-ALEXANDRINA  
مكتبة الاسكندرية

(شراء)



BIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل





ها نحن نلتقي من جديد لنواصل  
الحديث عن أخبار مصر، ونصل ما  
انقطع من حكايات فراعنة النهر

والأهرامات والحضارة.

فقد تركت بلادكم عام ١١٨٧ قبل  
الميلاد أسرع خلف هذه التغيرات التي  
راحت تجتاح أمم  
وممالك الأرض من  
حول، شعوب تهجر  
أوطانها باحثين عن  
وطن جديد، وأخرى  
تتساقط أمام زحف  
المهاجرين، هجرات  
هنا وحروب هناك  
وكان العالم يُعيد  
تشكيل نفسه.

ظللت أتنقل بين  
أمم الأرض وأوطانها،  
أفتش وأستفسر عن  
هذه الشعوب  
المهاجرة التي أطلق  
عليها المصريون اسم  
شعوب البحر، حتى



رمز الحياة عند الفراعنة





علمتُ كيف  
خرجتُ من  
ديارها في  
شمالِ شرقي  
القارةِ الأدبيةِ،  
موجاتٍ متتابةً  
تبحتُ عن  
ظروفٍ معيشيةٍ  
أفضلَ، وكيف

٩٩٣ قبلَ الميلادِ، أتجولُ بينَ مدنِ  
الوادي ومقاطعاتهِ، باحثاً عن «نيلٍ»  
لأعلمَ منه جميعَ ماجرى طَوَالَ مايقربُ  
من مائتي عامٍ قضيتهاً بعيداً عن  
مصرَ.

وفي طيبةً علمتُ بوجودِ «نيلٍ» في  
إحدى نُورِ التحنيطِ المنتشرةِ بها،  
فأسرعتُ من فوري إلى حيثُ يوجدُ،  
ولكنني ما كدتُ أجتازُ أسوارَ دارِ  
الحنيطِ هذه حتى أحاطَ بي الجندُ  
يمطرونني بسيلٍ من الأسئلةِ

اتجهتُ بعضُ هذه الموجاتِ إلى غربيّ  
آسيا لتصطدمَ بمملكةِ الحيثيين،  
وتشتعلُ بينهما المعاركُ على حدودِ  
إمبراطوريةِ الفراعنةِ، بينما اتجه  
بعضُها الآخرُ إلى سواحلِ القارةِ  
الإفريقيةِ ليتحالفَ مع قبائلِ الليبيين  
على غزوِ دلتا مصرَ، في الوقتِ الذي  
كان فيه رمسيسُ الثاني قد تجاوزَ  
الثمانين من عمره، ولم يعد يهتمُ بغيرِ  
استكمالِ أعمالِ البناءِ والتشييدِ.

وهأنذا أعودُ ثانيةً إلى بلادكم عامَ



فقلتُ له: وماذا تُرَاكَ تفعل داخلَ

هذه الدار؟

فقال: كنتُ أتابعُ إجراءاتِ تحنيطِ

جَسَدِ فرعونَنا «بينُوزم» الأولِ.

فقلتُ له: وهل بدأ العملُ فى تحنيطِ

جُثمانِ ذلك الفرعون؟

فقال: هو لم يَبْدَأْ بعدُ، فما يزالُ

المَحْنُطُونَ يُعِدُّونَ أدواتِهِم للقيامِ بذلكِ

العملِ.

فقلتُ له: حسنًا، يمكنكُ إِرْدَنُ أن

تَقصُّ على جميعِ ما حدثَ على أرضِ

مِصرَ طَوَالَ

الأعوامِ السابقةِ

حتى يفرغَ

المَحْنُطُونَ من

الإعدادِ لِعَمَلِهِم.

فقال: لقد

شاهدتُ معنا قبلَ

رحيلِكَ فى المرةِ

والاستفساراتِ: من أين قَدِمْتَ إلينا؟

وكيف جئتُ إلى هنا؟ وما الذى جعلك

تحاولُ التسللَ إلى الداخلِ؟ ولم يُنْقِذْنِي

من بينِ أيديِ الجندِ واستفساراتِهِم

سوىِ قدومِ «نيل» الذى اصطحبَنِي إلى

إحدىِ الحجراتِ الجانبيةِ مرحبًا، بينما

رحتُ أتوجَّهُ إليه متسائلًا: ما الذى

يُدرُ فى هذا المكانِ يا «نيل»؟ ولماذا

يمنعُنِي هؤلاءِ الجندُ من الدخولِ؟

فقال: إنها دارُ التحنيطِ المَلِكِيَّةِ يا

أليقَى.







غطاء إحدى المماليك الفرعونية

السابقة استقبال البلاد  
لجيوشها العائدة من غربى  
الدلتا، بعدما استطاع  
رمسيس الثالث تحقيق  
الانتصار على تحالف  
شعوب البحر وقبائل الليبيين  
فى عام حكمه الخامس.

فقلت له: أجل يا «نيل»،  
فما الذى حدث بعد ذلك؟

فقال: لم يهنأ رمسيس  
الثالث بذلك الانتصار  
طويلاً، إذ سرعان ما أخذ  
يعدّ جيوشه للقتال بعدما  
جاءت الأخبار تنبئ

بسقوط مملكة الحيثيين أمام زحف  
شعوب البحر الذين راحوا يتدفقون فى  
مقاطعات الإمبراطورية المصرية فى  
جنوب سوريا ولبنان وفلسطين يدمرون  
كل ما يقف فى طريقهم إلى أرض  
مصر، وبينما كانت جيوش الغزاة تقتل

الأرض سيراً صوب الدلتا، كانت  
أساطيلهم تسابق أمواج البحر  
المتوسط إلى الشواطئ المصرية.  
فقلت له: وهل نجح رمسيس الثالث  
فى صد هجمات شعوب البحر؟



### النهر الغربى.

فقلت له: لقد نجح فرعونكم إذن فى الوقوف بوجه هؤلاء الغزاة الجدد الذين لا أظنهم يقلون خطراً عن الهكسوس فى الماضى، فلو قدر لشعوب البحر الانتصار على جيوش رمسيس الثالث لسقطت دولة الفراعنة، كما سقطت مملكة الحيثيين على

فقال: خرج رمسيس الثالث على رأس جيوش الإمبراطورية فى عام حكمه الثامن، فقابل جيوش الغزاة البرية على حدود مصر الشرقية عند مدينة رفح، وهناك دارت المعارك التى كان النصر فيها حليفاً للمصريين الذين استطاعوا أيضاً القضاء على أساطيل هؤلاء المهاجرين عند مصب



جانب من معبد الكرنك





معبد هابو

### حدودكم الشرقية.

فقال: حقاً، لقد كان انتصاراً  
رمسيس الثالث على شعوب البحر  
انتصاراً عظيماً، غير أنه لم يكن  
خاتمة انتصاراته، إذ إنه في عام  
حكمه الثاني عشر قاد جيوشه إلى  
الغرب لمواجهة خطر الليبيين الذين  
راحوا يهدئون حدود الدلتا من جديد،  
بعدما عادوا يتخالفون مع قبائل غربي  
الساحل الإفريقي عازمين على مهاجمة

مقاطعات مصر الشمالية، لكن  
رمسيس الثالث شتت جمعهم وأوقع  
بهم هزيمة ساحقة قبل أن يعود إلى  
عاصمة ملكه برمسيس أمناً على  
حدود إمبراطوريته، ليحق له أن يقضى  
ما تبقى من أعوام حكمه البالغ اثنين  
وثلاثين عاماً في هدوء وسكينة، يحاول  
إزالة بعض ما خلفته الحروب الطويلة  
من تعطيل للحياة الطبيعية على وجه  
الإمبراطورية المصرية.



فقلتُ له: لا بدُّ وأنه قد شيّد الكثيرُ  
من الأبنية والمنشآت كسائرِ فراعنةِ  
مصرِ العظام؟

فقال: كعادةِ الفراعنةِ العظام أنشأ  
رمسيسُ الثالثُ معبدهُ (١) الجنائزى فى  
صحراءِ طيبة، بجانبِ إضاقتهِ لبعضِ  
الأبنيةِ فى معبدهِ أَمْنَحُوتبِ الثالثِ  
والكرنك، وإقامتهِ للكثيرِ من المنشآتِ  
فى مَنفٍ وعَيْنِ شمسٍ وِبْرٍ ومَسيِسٍ



بقايا معبدِ الرمسيم

(١) معبدِ هابو.

وأبيدوسَ والنوبة، لكنه مع كلِّ ذلك لم  
يستطِعْ أن يرتقى بأبنيةٍ ومنشآتٍ إلى  
مكانةِ رمسيسِ الثانى وأمنحوتبِ  
الثالثِ وأمنمحاتِ الثالثِ أعظمِ البنّائين  
الفراعنة.

فقلتُ له: لكنه دون شكٍّ سيبقى فى  
ذاكرةِ مصرَ كأحدِ محاربِها العظام،  
تذكُّرهُ بالثناءِ والعرفانِ متى كانت تدبُّ  
على أرضها صُودُ الحياةِ وإن تنسى له  
أبدًا دُفاعه عن أمنها وسلامتها ضدَّ  
هجماتِ الليبيين وشعوبِ البحرِ وقبائلِ  
غربِ أفريقيا.

فقال: حقا يا أبتي، لقد تركَ  
رمسيسُ الثالثُ لخلفائه على عرشِ  
الأسرةِ العشرينِ إمبراطوريةً آمنةً  
تتطلَّعُ إلى مَنْ ينهضُ بها ويُحسنُ  
تنظيمَ شئونها واستغلالِ مواردها،  
لتستعيدَ سابقَ بهاؤها الذى كانت  
تتمتعُ به فى عهدِ الأسرةِ الثامنةِ  
عشرة.



فقلتُ له: وهل كان خلفاءُ رمسيسَ الثالثِ على عرشِ الأسرةِ العشرينِ فراعنةً أقوياءَ مهرةً قادرين على استعادةِ أمجادِ الإمبراطوريةِ وعزَّتِها؟

فقال: ما أعظمَ الفرقَ بينِ فراعنةِ الأسرةِ الثامنةِ عشرةَ وخلفاءِ رمسيسَ الثالثِ على عرشِ الأسرةِ العشرينِ! لقد تولَّى الحكمَ بعدَ رمسيسَ الثالثِ ثمانيةُ فراعنةٍ من أسرتهِ تسموا باسمِ رمسيس، لم يتَّصفِ واحدٌ منهم بمهارةٍ وقوةِ الفراعنةِ العظامِ، فنراهم يتتابعون على حكمِ مصرَ طوالَ مايقربُ من الثمانينِ عاماً، دون أن يخلِّقوا وراءهم مايشهدُ لهم بشيءٍ من حسنِ العملِ أو مهارةِ الإدارةِ.

فقلتُ له: وكيفَ كانَ ذلك؟

فقال: كان رمسيسُ الثالثُ قد أعدَّ ابنهَ رمسيسَ الرابعَ ليخلفه على العرشِ متابعاً مسيرةَ التنظيمِ والإصلاحِ، ولكنَّ حكمَ رمسيسَ الرابعِ القصيرَ

الذي لم يتجاوزِ الستةَ أعوامٍ حملَ في نهايتهِ مظاهرَ الضعفِ والفضوى إلى الحدِّ الذي أدَّى بعمالِ الفرعونِ إلى الإضرابِ عن أعمالِهِم احتجاجاً على سوءِ مايلاقونه من معاملةٍ، وجلسَ من بعده رمسيسُ الخامسُ على العرشِ لأربعةَ عشرَ عاماً، ثم كان صراعٌ بينِ الرعامسةِ أولادِ وأحفادِ رمسيسَ الثالثِ على عرشِ الأسرةِ العشرينِ، فتولَّى الحكمَ رمسيسُ السادسُ والسابعُ والثامنُ تباعاً في مدَّةٍ لا تتجاوزُ الثلاثةَ عشرَ عاماً بدأ فيها نفوذُ مصرَ وسيطرتها على أقاليمِ إمبراطوريَّتِها تأخذُ في الوهنِ والانحسارِ نتيجةً لضعفِ الفراعنةِ وإهمالِهِم لأعمالِ التنظيمِ والإدارةِ، ومن بعدَ رمسيسَ الثامنِ تولَّى الفرعونُ رمسيسُ التاسعُ الحكمَ طيلةَ سبعةٍ وعشرينَ عاماً، وعلى الرغمِ من طولِ فترةِ حكمِهِ لم يستطعَ إعادةَ





الملك رمسيس الثالث

شيء من النظام  
والاستقرار لبلاده  
التي صارت تُعاني  
من الضعف  
والتمهيد وانتشار  
أعمال النهب التي  
وصلت إلى حد  
العبيث بمومياوات  
الفراعنة العظام في  
مقابرهم بصحراء  
طيبة.

فقلت له: ولكن  
كيف يعيثُ المصريون  
بمقابر فراعنتهم وهم

الذين ارتفعوا بمكانة هؤلاء الفراعنة  
إلى حد التقديس في كثير من  
الأحيان؟ ثم أين ذلك الحرص وتلك  
الرعاية التي تميزُ المصريون ببذلها  
لمقابر موتاهم منذ زمن بعيد؟!

فقال: لقد أدنى سوء التنظيم إلى

تدهور أعمال التجارة والزراعة  
والصناعات على طول الدلتا والوادي  
مما وصل بكثير من المصريين إلى  
أشد حالات الفقر والحاجة، فانتشر  
بينهم اللصوص الذين رأوا فيما تجمع  
بمقابر الفراعنة من ذهب وأحجار



كريمة.. مورداً زاخراً يقيهم بؤس  
الفقر والحاجة، وفي أزمان الشدة  
والتهور كثيراً ما يتجلى البعض عن  
عقائدهم لتنتشر أعمال السلب والنهب  
دون خوف أو وجل.

فقلت له: أعلم أن بلادكم قد فقّنت  
الكثير من مواردها وثروتها نتيجة  
لبذخ رمسيس الثانى وشغفه البالغ  
بأعمال البناء والتشييد، لكن فتوحات  
مرنبتاح، ورمسيس الثالث، من بعده  
لابد وأن تكون قد ساقّت إليكم الكثير  
من الغنائم والثروات.

فقال: كانت الغزوات التى قام بها  
مرنبتاح ورمسيس الثالث من بعده  
سبباً فى تدفق الغنائم على البلاد، غير  
أن هذه الغنائم قد أخذت طريقها إلى  
خزائن معابد آمون منذ زمن بعيد،  
ففى الوقت الذى كان فيه ملوك  
الرعامسة يعانون من تدهور الأحوال  
فى الداخل وانحسار سيطرتهم عن

أقاليم إمبراطوريتهم فى الشمال  
والجنوب، كان كهنة آمون يكسبون  
كل ما تقع عليه أيديهم من ثروات بين  
جدران معابدهم يزيدهم ذلك قوة  
وسيطرة، حتى أدّى بهم تعاظم نفوذهم  
وثروتهم إلى التدخل المباشر فى أمور  
الحكم.

فقلت له: وكيف كان ذلك التدخل؟

فقال: بعد رحيل رمسيس التاسع  
تولّى رمسيس العاشر الحكم، فكان  
عهد الذى لم يتجاوز الثمانية أعوام  
ينبىء بالنهاية الوشيكة لحكم  
الرعامسة ملوك الأسرة العشرين، إذ  
ضاعت فى عهده سيطرة الفراعنة على  
إقليم النوبة، فلم يتبق من إمبراطورية  
تحتمس الثالث ورمسيس الثانى  
والثالث من بعده سوى نفوذ شكلى  
على أرض فلسطين، ومع رحيل  
رمسيس العاشر وولاية رمسيس  
الحادى عشر كانت أحوال البلاد قد





وَصَلَتْ إِلَى أَبْعَدِ دَرَجَاتِ  
التدهورِ والفوضى، مما شَجَّعَ  
سِمْنْدُسَ - أَحَدَ حُكَّامِ  
المقاطعات - على أن يفتصبَ

الدلتا، وبينما راح سمندس يضمُّ إلى  
مُلْكِهِ مقاطعاتِ الدلتا الواحدةَ بعدَ

الْمَلِكِ لِنَفْسِهِ مُعَلِّناً قِيَامَ أُسْرَةٍ حَاكِمَةٍ  
جديدةٍ في مدينةِ تَانِيسَ (١) شرقي

الأخرى، أَسْرَعَ ومسيِسُ  
الحادي عشرَ بالفرارِ صوبَ  
طيبة، محتَمِياً بِسُلْطَانِ  
حَرِيحُورَ كَبِيرِ كَهْنَةِ آمُونِ  
الَّذِي رَأَى فِيمَا يَحْدُثُ  
فُرْصَتَهُ السَّانِحَةَ لِإِبْرَازِ قُوَّتِهِ  
وَنَفُوذِهِ، فَأَعْلَنَ نَفْسَهُ فِرْعَوْنًا  
لِلْبِلَادِ وَحَاكِمًا لِمَقَاطَعَاتِهَا  
الْجَنُوبِيَّةِ، وَهَكَذَا تَفَرَّقَتْ  
أَرْضُ مِصْرَ بَيْنَ سِمْنْدُسَ  
مُؤَسِّسِ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ  
وَالْعِشْرِينَ فِي تَانِيسَ  
وَحَرِيحُورَ حَاكِمِ الْمَقَاطَعَاتِ  
الْجَنُوبِيَّةِ.



مومياء الملك رمسيس الخامس

(١) صان الحجر - بمحافظة الشرقية.





إناء فرعونى من الذهب الخالص

فقلتُ له: وهل تمكُنُ  
أحدُ الفريقَيْنِ من إحكامِ  
سيطرتهِ على كاملِ  
أرضِ مصر؟

فقال: ظلُّ حريحورُ  
مسيطرًا على مقاطعاتِ  
الوجهِ القبلى طيلةَ حياته،  
حتى إذا ما رحلَ أسرعَ  
سيمندسُ إلى ضمِّ هذه  
المقاطعاتِ إلى ملكه،  
تاركًا رئاسةَ كهنةِ آمونَ  
فى طيبةَ لخلفاءِ حريحورُ

الذين ظلوا ينازعون فراعنةَ تانيسَ  
السيطرةَ والسلطةَ، حتى أن حفيدَ  
حريحورُ بينوزمُ الأولَ لم يكتفِ  
بمنصبهِ كرئيسٍ للكهنةِ، فراح يمدُّ  
نفوذَهُ إلى أن تمكَّنَ من الجلوسِ على  
عرشِ الأسرةِ الواحدةِ والعشرين.

فقلتُ له: أليس بينوزمُ هذا هو من  
تستعدون اليومَ لتحنيطِ جثمانهِ؟

فقال: بلى، فقد تُوفى بالأمسِ،  
بعدما جلسَ على العرشِ كفرعونَ  
للبلادِ مايقربُ من اثنى عشرَ عامًا،  
وسنقومُ بعد إتمامِ عملياتِ التحنيطِ  
بدفنِ جثمانهِ فى إحدى مقابرِ طيبةَ.

فقلتُ له: وهل مايزالُ فراعنةُ مصرَ  
يحفرونَ مقابرَهُم فى صخورِ طيبةَ،  
على الرغمِ من انتشارِ أعمالِ النهبِ



فيها؟

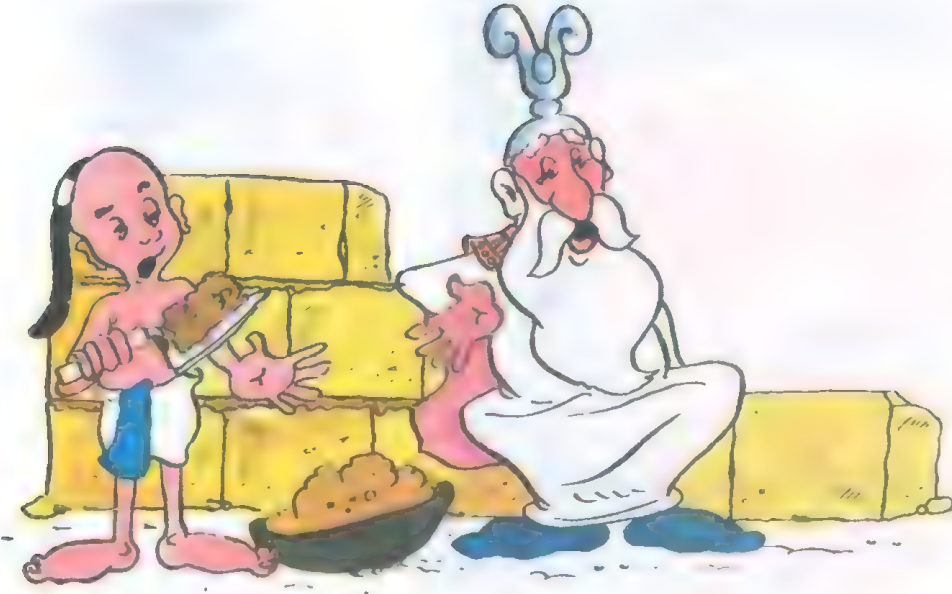
فقال: لقد ظلُّ  
أكثرُ الفراعنةِ  
يُعدُّونَ مقابرَهُمْ  
بينَ صخورٍ طيبةٍ  
حتى نهايةِ الأسرةِ  
العشرين، فلما  
قامتِ الأسرةُ

الواحدةُ والعشرون في تانيسَ راح  
فراعنتُها يُقيمونَ مقابرَهُمْ في عاصمةِ  
ملكِهِمْ، بينما ظلُّ كبارُ الكهنةِ يُدفنونَ  
في صحراءٍ طيبةٍ مع ازديادِ حرصِهِمْ  
على البعدِ بمقابرِهِمْ عن أيدي

اللصوصِ بعدما بذلوا جهوداً كبيرةً  
في إصلاحِ مقابرِ ومومياتِ الفراعنةِ  
السابقين.

فقلتُ له: أيُّ إصلاحاتٍ تعني؟  
فقال: أدتُ محاولاتُ نهبِ المقابرِ

إلى تمزيقِ بعضِ  
مومياتِ  
الفراعنةِ، بعدما  
حاولَ اللصوصُ  
نزعَ ما عليها من  
ذهبٍ وأحجارٍ  
كريمة، فلما رأي







مومياء الملك رمسيس

كهنة طيبة ماوقع بمومياوات  
أسلافهم العظام، أسرعوا إلى  
إصلاحها وإعادة تكفينها، وقد  
كان بينوزم الأول من أكثر  
هؤلاء الكهنة اهتماماً  
بمومياوات الفراعنة السابقين،  
حيث قام بإصلاح الكثير من  
هذه المومياوات مثل مومياء  
تحتمس الثانى ومومياء  
أمنحوتب الثالث وهو لا يزال  
كبيراً لكهنة آمون، فلما صار  
فرعوناً للبلاد ازداد اهتمامه  
بذلك العمل حتى كانت خاتمة  
إنجازاته هى إصلاح

مومياوات كل من رمسيس الأول  
وسيتى الأول ورمسيس الثانى، وعلى  
الرغم من إسهام كهنة آمون  
بإصرارهم على مد نفوذهم وتأكيد  
سيطرتهم فى إضعاف حكومة  
الفراعنة والسير بالبلاد عدة خطوات

جديدة صوب التدهور والفضى، يبقى  
اهتمامهم بإصلاح مومياوات الفراعنة  
عملاً جليلاً صانوا به أجساد أعظم  
حكام مصر وساهموا من خلاله فى  
تطور ورقى فنون التحنيط.

فقلت له: وكيف يكون إصلاح هذه



الموميאות سبباً في تطور فنون  
التحنيط يا «نيل»؟

فقال: حينما قام المحنطون بإصلاح  
موميאות الفراعنة السابقين وشاهدوا  
ما قد أصبحت عليه بعد مرور عشرات  
الاعوام من تغير وتشويه عرفوا ما في  
عملهم من خلل أدى إلى عدم احتفاظ  
الجسد المحنط بهيئته التي كان عليها  
وقت الوفاة، ومن هنا كان سعيهم إلى  
تطوير عملهم والقضاء على كل أوجه  
النقص فيه لتكون محافظتهم على  
جسد المتوفى بديلاً عن نحت الكثير  
من التماثيل الحجرية كثيرة التكاليف،



في وقت ندرت فيه الموارد وتدهورت  
فيه الأحوال.

فقلت له: وهل نجح المحنطون في  
تحقيق ذلك؟

فقال: أجل ، فقد تم تحنيط جسد  
حريحور بطريقة مبتكرة فاقت جميع  
الطرق التي كان يعمل بها المحنطون  
القدماء.

فقلت له: وهل سيتم تحنيط جسد  
بينوزم بنفس الطريقة التي حنط بها  
جسد حريحور؟

فقال: بالطبع، ولا بد أن المحنطين قد  
بدؤوا عملهم بالفعل.

فقلت له: حسناً يا «نيل»، فانا منذ  
زمن بعيد أتشوق إلى معرفة ما يدور  
داخل حجرات التحنيط، وأرى أن  
الفرصة لمشاهدة هذا الفن المصري  
الغريب قد أتاحت لي اليوم.

فقال: لن يمكنك مشاهدة شيء يا





مجموعة من أرائى الأحشاء

أبتي، إن عمل المحنطين سرٌ لايجوزُ  
الاطلاعُ عليه لغير المحنطين أنفُسِهِمْ أو  
مَنْ يثقون فيه بثقة عظيمة.

فقلتُ له: وكيف لا يثقون فيّ وأنا مَنْ  
سَيَسْجَلُ لهم تطويرهم لطرقِ التحنيطِ  
وإضافة الجديدِ لفنونه؟

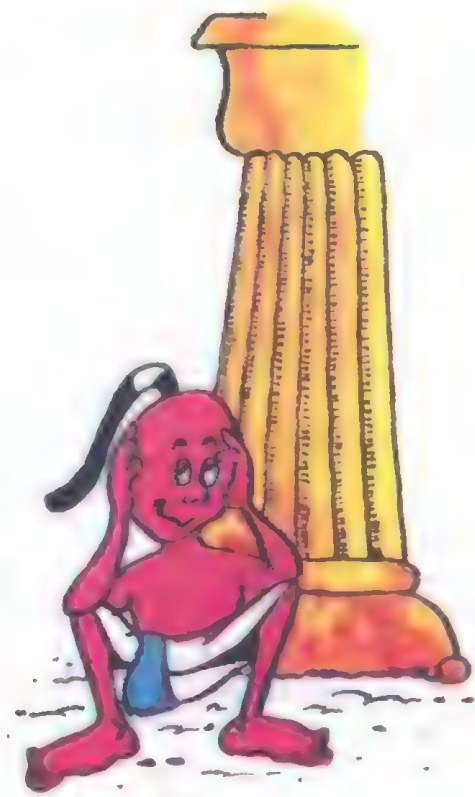
فصمتُ قليلاً ثم قال: حسنًا يا  
أبتي، لنحاول أن نجعلهم يوافقون على  
مشاهدتك لهم وهم يقومون بأعمالِ

التحنيطِ.

ولم يكن اقناع هؤلاء المحنطين  
بوجودي داخل حجراتهم أمرًا يسيرًا،  
فقد ظلّ «نيل» لساعاتٍ طوالٍ يشرحُ  
لكبيرهم أهمية مشاهدتي لعملهم قبل  
أن يسمحوا لي بدخول حجراتهم، ولكن  
ما أيسرَ المعاناة إذا أنت بنا إلى رؤية  
الغريب أو اكتشاف المجهول، فهأنذا  
أخيرًا قد قُتِرَ لي مراقبة أعمالِ



التحنيط، وما هي لى الحجرة  
الفسحة التي يتجمع في وسطها عدد  
كبير من المحنطين يلتفون حول جسد  
الفرعون الممدد على فراش خشبي  
خاص تحيط بهم عدة أوانٍ مختلفة  
الأحجام وكثير من الأدوات المعدنية  
الحادة وأكوام من لفائف الكتان جيدة  
الصنع، وبينما راح المحنطون يتناولون  
الآتيهم الحادة استعداداً لبدء عملهم،  
وقفت على مقربة منهم شغوفاً



بمشاهدة مايدور أمامي، حتى إذا ما  
بدأ كبير المحنطين يعمل الله في جسد  
الفرعون مخرجاً ما به من أحشاء  
رخوة، إذا بي أسقط من فوري فاقد  
الوعي، ولم أفق إلا وأنا ممدد على  
أحد الأسيرة في منزل «نيل»، الذي  
كان يجلس بجانبى، فما كدت أسترده  
الوعي حتى رحت أحدث بصوت  
متقطع قائلاً: ما الذى حدث يا «نيل»؟  
فقال: لاشيء سوى أنك قد سقطت  
غائباً عن الوعي بمجرد أن بدأ  
المحنطون عملهم.

فأخذت أحدث نفسي بصوت  
مسموع قائلاً: الآن يُقدّر لى يوماً  
معرفة مايدور داخل حجرات  
المحنطين؟

فنهض «نيل» قائلاً: إن شئت عدنا  
مرة أخرى.

فصمت أفكر قليلاً، ثم أشرت له  
بالجلوس قائلاً: لا اعتقد أننى قادر





إناء من الفضة لو مقبض ذهبي

فقال: هناك الجديد بالطبع، لقد أعاد  
المحنطون إلى جسد المتوفى هذه  
الأحشاء التي كانت تُوضع عادةً في  
أنية خاصة بجانب المومياء، وكذلك  
عملوا على إعادة لون الجلد الخارجي

الآن على إعادة المحاولة،  
ولكن لنقص على أنت كل  
ما يدور داخل هذه  
الحجرات.

فقال: تعلم أن الفكرة  
الرئيسية في عمل المحنطين  
هي تخليص الجسد المتوفى  
من جميع ما يحويه من  
سوائل، ويتم ذلك بعمل عدة  
فتحات تستخرج من خلالها  
الأحشاء قبل أن يُنظف  
الجسد جيداً، ويوضع في  
المواد الحافظة كملح الطعام  
والنطرون، ثم يعاد تنظيفه  
وتغطيته ليغطي آخر الأمر  
بأربطة الكتان.

فقلت له: أعلم أن ذلك هو عمل  
المحنطين منذ زمن بعيد، فما الجديد  
الذي أضفتموه إذن إلى فنون  
التحنيط؟



إلى حالته الطبيعية بالتلوين بعد تغيره  
نتيجة استعمال المواد الحافظة، كما  
أضافوا إلى الموميا عيَّتين صِنَاعِيَّتَيْنِ،  
وَمَلَّؤُوا جَوْفَهَا مِنْ فَتَحَاتِ التَّحْنِيطِ بَعْدَةَ  
مَوَادِّ مُخْتَلِفَةٍ، حَتَّى يَتَفَانَوْا انْكَمَاشَهَا  
مَعَ الْوَقْتِ مُتَأَثِّرَةً بِمَا فَقَدَتْهُ مِنْ  
سَوَائِلَ.

وهكذا ظَلَلْتُ أَتَجَوَّلُ بَيْنَ مَدْنٍ وَغَرَى  
الْجَنُوبِ حَتَّى أَكْمَلَ الْمُحِيطُونَ عَمَلَهُمْ،  
وَبَعْدَمَا شَاهَدْتُ كَيْفَ تَمَّ وَضْعُ تَابُوتِ  
الْفِرْعَوْنِ بَيْنُوزِمِ الْأَوَّلِ فِي إِحْدَى مَقَابِرِ  
صَحْرَاءِ طَيْبَةَ بِجَوَارِ رَمْسِيْسِ الْأَوَّلِ  
وَسِيَّتِي الْأَوَّلِ وَرَمْسِيْسِ الثَّانِي، تَرَكْتُ  
بِلَادَكُمْ مُتَابِعًا أَسْفَارِي وَتَجَوَّلِي بَيْنَ  
أُمَمِ الْأَرْضِ وَشَعُوبِهَا، أَر\_اقِبُ هَذِهِ  
الشُّعُوبَ النَّاهِضَةَ فِي الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ  
وَالْغَرْبِ، وَهِيَ تَسْعَى فِي طَرِيقِهَا إِلَى  
التَّقْدُمِ وَالتَّحْضُرِ حَوْلَ مِصْرَ الَّتِي تَظَلُّ  
رَغْمَ تَدَهُّورِ الْأَحْوَالِ عَلَى أَرْضِهَا أَعْرَقَ  
وَأَعْظَمَ أُمَمَ الْعَالَمِ جَمِيعًا، وَبَعْدَ طَوِيلِ

تَرْحَالٍ وَعِنْدَمَا حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِي إِلَى  
بِلَادِكُمْ بَعْدَ مُضَى مَايَزِيدُ عَنْ مَائَتَيْنِ  
وَسِتِّينَ عَامًا، كَانَتْ رِحْلَتِي الثَّالِيَةَ عَامَ  
٧٣٠ قَبْلَ الْمِيلَادِ وَاحِدَةً مِنْ أَقْصَرِ  
رِحْلَاتِي إِلَى أَرْضِ الْفِرَاعِنَةِ، حَيْثُ  
اتَّجِهْتُ فَوْرَ قُدُومِي إِلَى مَعْبَدِ الْكَرَنَكِ،  
وَهُنَاكَ كَانَ عُثُورِي عَلَى «نِيل» جَالِسًا  
أَسْفَلَ أَحَدِ أَعْمَدَةِ قَاعَةِ الْعَمْدِ الْكُبْرَى،  
وَاضِعًا رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُسْتَغْرِقًا فِي  
تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ، فَذَكَرْتَنِي جَلَسَتُهُ هَذِهِ  
بِحَالَتِهِ عِنْدَ سَقُوطِ بُولَةِ بُنَاةِ  
الْأَهْرَامَاتِ، وَحِينَمَا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ التَّفَتُّ  
نَاحِيَتِي دُونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيَّ أَوْ يُرَحِّبَ  
بِي كِعَادَتِهِ دَائِمًا، فَجَلَسْتُ بِجَانِبِهِ  
قَائِلًا: مَا الَّذِي جَرَى وَجَعَلَكَ تَجْلِسُ  
وَحِيدًا هَكَذَا؟

فَقَالَ: لَقَدْ جَرَى الْكَثِيرُ يَا أَبْتِي، فَمَا  
الَّذِي تَوَدُّ مَعْرِفَتَهُ؟

فَقُلْتُ لَهُ: لِنَقْصُ عَلَى جَمِيعِ مَا جَرَى  
مِنْدُ وَفَاةِ الْفِرْعَوْنِ بَيْنُوزِمِ الْأَوَّلِ إِلَى



اليوم.

فقال: حَكَمَتِ الأُسْرَةُ الواحدةُ والعشرون مايقربُ من مائة وخمسة وثلاثين عاماً، ظَلَّتِ السُّلْطَةُ تتأرجحُ خلالها ما بين الفراعنة في تانيس وكهنة آمون في طيبة، لتظهر نتائجُ التدهورِ الذي زُرِعَتْ أسبابُهُ في التربةِ المصريةِ منذُ زمنٍ بعيدٍ.

فقلتُ له: وماذا تقصدُ بهذه الأسبابِ؟

فقال: كان للتدهورِ الذي أصابَ دولةَ الرعامسةِ سببانِ رئيسيانِ، أولهما هو ازديادُ نفوذِ كهنةِ آمونِ إلى الحدِّ الذي جعلَهُم أنداداً لفراعنةِ البلادِ، فعلى الرغمِ من قدرةِ أوائلِ ملوكِ الرعامسةِ على إدارةِ شئونِ البلادِ وقوةِ دفاعِهِم عن أَمْنِها وسلامَتِها، فإنهم قد عَجِزُوا كُلُّ العجزِ عن مقاومةِ ذلكِ التيارِ الجارفِ الذي ازدادتْ موجاتُهُ ارتفاعاً يوماً من بعدِ يومٍ،

بعدما تخلَّى خلفاءُ إخناتونَ عن إصلاحاتِهِ، وراحوا يُؤثِرُونَ السلامةَ بإغداقِهِم الكنوزَ والضِّياعَ على آمونَ وكهنتِهِ طلباً لتأييدهم وإتقاءَ لسلطانِهِم. فقلتُ له: حسناً يا «نيل»، فما السببُ الثاني؟

فقال: هو اعتمادُ ملوكِ الرعامسةِ وفراعنةِ تانيسِ على الجندِ الأجانبِ من المتطوعينِ الأَسْرَى الذين تكونُ منهمِ الجزءُ الأكبرُ من جيوشِ مصرَ، فاستطاعوا أن يسيطروا على الجيشِ، بل ويصلُّوا إلى شغلِ أهمِّ وظائفِ الدولةِ لايعنيهِمُ في شغلِها سوى تحقيقِ مطامِعِهِم وأهدافِهِم الشخصيةِ، وهكذا اجتمعَ عبثُ الجنودِ الغرباءِ بشئونِ البلادِ، مع ضعفِ الفراعنةِ وسطوةِ الكهنةِ ليمهّدُوا الطريقَ لسقوطِ دولةِ الفراعنةِ.

فقلتُ له: وكيف كان ذلك السقوطُ؟ فقال: كَثُرَ عددُ الليبيينِ في مصرَ،



جيوش رمسيس الثالث استطاعوا أن  
يرثوا ملك الفراعنة دون مقاومة أو  
نزاع، وعلى الرغم من أن ملوك الليبيين  
قد حاولوا التأقلم مع الحياة المصرية،  
فحرصوا على اتباع عاداتهم وتلقبوا  
بالقايهه وقدسوا رموز معابدهم، لم  
يُضيفوا لها سوى مزيد من التدهور  
والفوضى.

فقلت له: وكيف حدث ذلك؟

فقال: ورث ملوك الليبيين عن  
أسلافهم ملوك الأسرة الواحدة  
والعشرين تدهور شؤون الزراعة  
والصناعة والتجارة والفنون بجانب  
انقطاع الموارد التي كانت تجلب إلى  
مصر من أقاليم إمبراطوريّتها  
الضائعة، فزادوا الأمور تدهوراً  
بتنازعهم المستمر على ملك البلاد  
وإمارة مقاطعاتها، حتى أنهم لم يجدوا  
أمامهم سبيلاً لإقامة معابدهم  
وتماثيلهم سوى هدم معابد الفراعنة

بعدما اتخذ منهم فراعنة الأسرة  
الواحدة والعشرين حُرُاساً للحدود  
والمدن وقواداً وديسَاء حربيين، بجانب  
من جاء منهم إلى أرض الدلتا  
مهاجراً، فاستقروا بمدنها وامتلكوا  
منازلها وضياعها وعاماً من بعد عام  
كانت لامراء الليبيين الكلمة الأولى في  
إدارة شؤون عدة مقاطعات مصرية،  
حتى استطاع أحد هؤلاء الأمراء  
ويُدعى شاشانق الأول أن ينتهز فرصة  
ضعف آخر ملوك الأسرة الواحدة  
والعشرين، ويُنهي حكم فراعنة تانيس  
معلنًا قيام الأسرة الثانية والعشرين.

فقلت له: لقد استطاع الليبيون إذن  
أن يسيطروا على أرض مصر سليماً،  
بعدما فشلوا من قبل في الاستيلاء  
عليها بحد السيف؟

فقال: حقاً يا أبتى، فبعد مرور أقل  
من مائتين وثلاثين عاماً على هزيمة  
تحالفهم مع قبائل هوب أفريقيا أمام





سيطرة ملوك الأسرة الثانية والعشرين  
في الشمال وملوك الأسرة الثالثة  
والعشرين في الجنوب، حتى أصبحنا  
اليوم وقد تناثرت وخذة البلاد وصارت  
مقاطعاتها ممالك مستقلة.

فقلت له: وبهذا التقسيم وتلك  
الفوضى بلغ تدهور صور الحياة على  
أرض الفراعنة حدًا جعلك تبتعد عن  
كل ما يدور لتجلس وحيداً هنا.

فنهض واقفاً، وأخذ يسير بين

واستخدام أحجارها في تشييد  
عمائرهم ومنشأتهم.

فقلت له: وهل استمر حكم الأسرة  
الثانية والعشرين وقتاً طويلاً؟

فقال: بعد رحيل شاشانق الأول  
تتابع ملوك الليبيين على عرش هذه  
الأسرة يسيطرون على جميع  
مقاطعات البلاد متخذين مدينة  
بست<sup>(١)</sup> عاصمة لهم، فكان منهم  
أوسركون الأول وشاشانق الثاني  
وأوسركون الثاني الذي ما إن قارب  
حكمه على الانتهاء، حتى قام يدي  
بأست حاكم إحدى مقاطعات الجنوب  
بالخروج على حكومة بست وتأسيس  
أسرة حاكمة جديدة في طيبة هي  
الأسرة الثالثة والعشرون، ومع تقسيم  
البلاد من جديد إلى مملكتين  
منفصلتين راح حكام المقاطعات  
يجتهدون في فصل مقاطعاتهم عن

(١) تل بسطا - محافظة الشرقية.



«نيل»، فقد أسرع بالفرار أهول  
مبتعداً عن شاطئ النهر، بعدما علت  
الصرخات تُحذّر من فيضان النهر  
الذى راح يبتلع كل ما يقف في طريقه  
وكأنه يعلن عن رفضه لما يجرى على  
طول واديه ودلتاه.

أعمدة الكرنك، ينظر إلى تيجانها  
العالية ويتأمل ما قد نُقش على  
أحجارها الضخمة من مفاخر ملوك  
الفراعة قائلاً: على قدر ما كان تأسيس  
الإمبراطورية الفرعونية وصعودها إلى  
أرقى درجات التحضر بالأمس عملاً  
فذاً يكون سقوطها اليوم إعلاناً منوياً  
عن فشل عظيم.

ولم أستطع التعقيب على كلمات





أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعيت متنقلا من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوما من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سويا أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.



### حقوق التوزيع فى مصر والعالم محفوظة



### للمكتب العربى المعارف

١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى  
ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة  
ت: ٢٤٢١٥٢٦

### الناشر



### «نيل وتاريخ»

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر ويحظر النقل، أو الترجمة، أو الاقتباس من هذه السلسلة فى أى شكل كان جزئياً، أو كلياً بدون إذن خطى من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى كل الدول العربية، وقد اتخذت إجراءات التسجيل والحماية فى العالم العربى بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية الحقوق الفنية والأدبية.

شخصيتان ملك لمنشورات الغالى وهاتان  
الشخصيتان مسجلتان ومحفوظتان ولايجوز  
استخدامهما إلا بتصريح خاص من المالك  
«منشورات الغالى»





مصر وآسيا	مصر القديمة
مصر وفارس	مصر القديمة
مصر البطلمية	مصر القديمة
مصر الاسكندرانية	مصر القديمة
مصر الرومانية	مصر القديمة
مصر القبطية	مصر القديمة
مصر البيزنطية	مصر القديمة
مصر الإسلامية	مصر القديمة

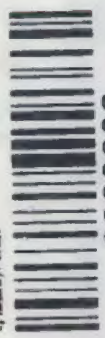
الموسوعة

P/NC  
962

ج ١

10

Bibliotheca Alexandrina



0308086